ألم. غلبت الروم* في أدنى الأرض
وهم من بعد غلبهم سيغلبون* في بضع سنين....

بقلم : د. زغلول النجار

هذه الآيات القرآنية الكريمة جاءت في مطلع سورة الروم، وهي سورة مكية يدور محورها الرئيسي حول قضية العقيدة، شأنها في ذلك شأن كل القرآن المكي.
ومن قضايا العقيدة الأساسية الإيمان بوحدانية الخالق(سبحانه وتعالى)، وبوحدة الرسالة، ووحدة الخلق، والإيمان بالآخرة وأهوالها، ومنها هول البعث، وهول الحساب، وهول الميزان، وهول الصراط، وحتمية الجزاء، وحتمية الخلود في الحياة القادمة إما في الجنة أبدا أو في النار أبدا...!!

و من الآيات الكونية الواردة في سورة الروم، الإشارة القرآنية إلى الموقع الذي هزمت فيه جيوش الروم على أيدي جيوش الفرس بالتعبير: أدنى الأرض، وقبل الدخول في ذلك لابد من عرض الدلالة اللغوية لهذا التعبير ولأقوال المفسرين فيه.

أدنى الأرض في اللغة العربية

يقال في اللغة:(دنا)(يدنو)(دنوا) بمعنى قرب بالذات أو بالحكم، ويستعمل في المكان، والزمان، والمنزلة، كما يعدي فيقال(أدنى)(يدني)(ادناءة)، ويقال:(دانيت) أو(أدنيت) بين الأمرين أي قاربت بينهما، حتى صارت بينهما(دناوة) أي: قرب أو قرابة.. و(الدني) القريب، و(الدنيء) بمعنى الدون، الخسيس، وقد(دنأ)(يدنأ)، وفيهما(دناءة)، ويقال:(دنؤ) بمعني انحط، و(الدنيئة) هي النقيصة.
قال(تعالى):.... ومن النخل من طلعها قنوان دانية...[الأنعام:٩٩].
وقال(سبحانه): ثم دنا فتدلى* فكان قاب قوسين أو أدنى.[النجم:٨،٩].
وفي الحديث الشريف: إذا أكلتم فادنوا أي كلوا مما يليكم. ويعبر بـ(الأدنى) تارة عن الأقرب فيقابل بالأبعد(أو الأقصى) من مثل قوله(تعالى): إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى....[الأنفال:٤٢].
وتارة ثانية يعبر بها عن الأخفض(أو الأحقر) فيقابل بالأعلى(أو الأعز) وذلك من مثل قوله(تعالى):
..... يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين....(الأحزاب:٥٩).
وتارة ثالثة تأتي بمعنى الأقل في مقابل الأكثر، من مثل قوله(تعالى):.... ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم...[المجادلة:٧] وتارة رابعة يعبر بها عن الأرذل فيقابل بالذي هو خير، وذلك من مثل قوله(تعالى):
.... قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير...(البقرة:٦١)
وتارة خامسة يعبر بها عن الأولى(الدنيا) في مقابلة الآخرة وذلك من مثل قوله(تعالى):
.... منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة....[آل عمران:١٥٢]
وسميت(الدنيا) بهذا الاسم لدنوها، والجمع(الدنا)، وأصله الدنو فحذفت الواو لاجتماع الساكنين، والنسبة إليها (دنياي)، وقيل(دنيوي) ودني، ويقال:(تدنى) فلان أي(دنا) قليلا قليلا، و(تدنى) المستوى بمعنى هبط، و(تدانوا) أي(دنا) بعضهم من بعض.

شروح المفسرين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

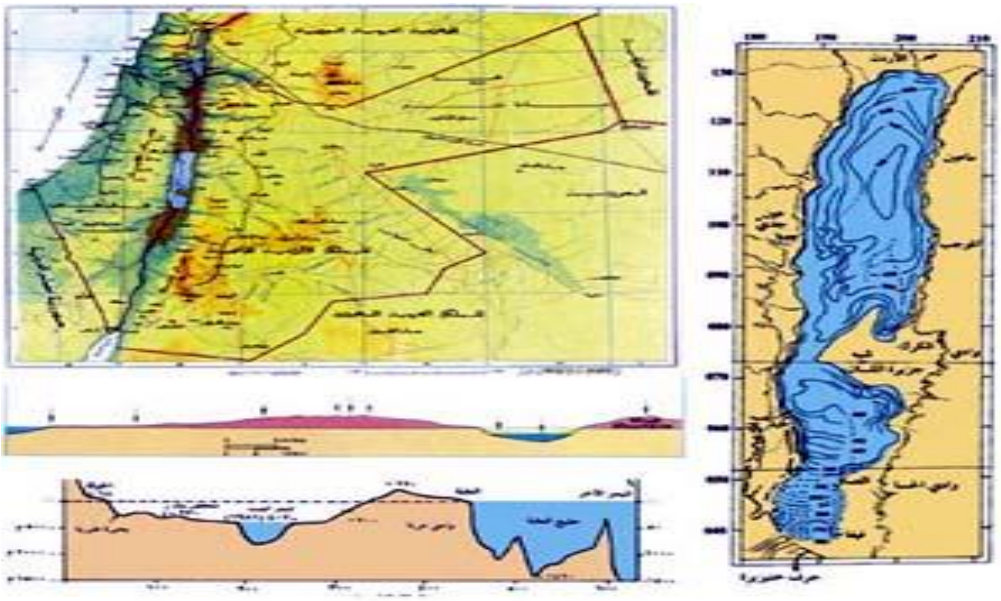

في تفسير قوله تعالى: ألم* غلبت الروم* في أدنى الأرض* وهم من بعد غلبهم سيغلبون* في بضع سنين* لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون* بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم(الروم: ١ -٥).
ذكر بن كثير(يرحمه الله) قول بن عباس(رضي الله عنهما) حيث قال: كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أصحاب أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم كانوا من أهل الكتاب، فذكر ذلك لأبي بكر(رضي الله عنه)، فذكره أبو بكر لرسول الله(صلى الله عليه وسلم)، فقال رسول الله(صلى الله عليه وسلم):[أما إنهم سيغلبون]، فذكره أبو بكر للمشركين، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلا، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا، فجعل أجل خمس سنين، فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله(صلى الله عليه وسلم) فقال:[ألا جعلتها إلى دون العشر؟]، ثم ظهرت الروم بعد، قال فذلك قوله تعالى:[ألم. غلبت الروم. في أدني الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون].

وأضاف بن كثير عدة روايات أخرى للحديث عن كل من مسروق، وابن مسعود، وعكرمة(رضي الله عنهم أجمعين) في المعنى نفسه، وزاد قوله:... وأما الروم فهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم، ويقال لهم بنو الأصفر، وكانوا على دين اليونان؛ واليونان من سلالة يافث بن نوح أبناء عم الترك، وكانوا يعبدون الكواكب السيارة، وهم الذين أسسوا دمشق وبنوا معبدها، فكان الروم على دينهم إلى بعد مبعث المسيح(عليه السلام) بنحو من ثلاثمائة سنة، وكان من ملك منهم الشام مع الجزيرة يقال له(قيصر)؛ فكان أول من دخل في دين النصارى من الروم(قسطنطين)؛ وأمه مريم الهيلانية من أرض حران وكانت قد تنصرت قبله فدعته إلى دينها... واستمروا على النصرانية، كلما هلك قيصر خلفه آخر بعده حتى كان آخرهم(هرقل)... فناوأه كسرى ملك الفرس، وكانت مملكته أوسع من مملكة قيصر، وكانوا مجوسا يعبدون النار، فتقدم عن عكرمة(رضي الله عنه) أنه قال: بعث إليه نوابه وجيشه فقاتلوه، والمشهور أن كسرى غزاه بنفسه في بلاده فقهره، وكسره وقصره حتى لم يبق معه سوى مدينة قسطنطينية فحاصره بها مدة طويلة حتى ضاقت عليه، ولم يقدر كسرى على فتح البلدة، ولا أمكنه ذلك لحصانتها، لأن نصفها من ناحية البر، ونصفها الآخر من ناحية البحر، فكانت تأتيهم الميرة والمدد من هناك، ثم كان غلب الروم لفارس بعد بضع سنين وهي تسع، فإن البضع في كلام العرب ما بين الثلاث إلى التسع.

وذكر صاحبا تفسير الجلالين(يرحمهما الله) كلاما موجزا في المعنى نفسه، وأضافا تعليقا على التعبير القرآني (في أدنى الأرض) أن المقصود به:[أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة، التقى فيها الجيشان، والبادي بالغزو(هم) الفرس...].
وجاء في الظلال(رحم الله كاتبها رحمة واسعة) ما نصه:
ثم جاءت النبوءة الصادقة الخاصة بغلبة الروم في بضع سنين.... وأضاف رواية عبد الله بن مسعود(رضي الله عنه) مؤكدا أن هذا الحادث قد وردت فيه روايات كثيرة، تتفق كلها في المعنى والدلالة، وتختلف في الألفاظ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وطرائق التعبير.
وجمع الكاتب(رحمه الله) من هذه الآيات القرآنية الكريمة عددا من الإيحاءات منها: الترابط بين الشرك والكفر في كل مكان وزمان أمام دعوة التوحيد والإيمان؛ ومنها الثقة المطلقة في وعد الله كما تبدو في قولة أبي بكر (رضي الله عنه) في غير تلعثم ولا تردد، والمشركون يعجبون من قول صاحبه، فما يزيد على أن يقول: صدق، ويراهنونه فيراهن وهو واثق، ثم يتحقق وعد الله، في الأجل الذي حدده: في بضع سنين...
والإيحاء الثالث وهو المسارعة برد الأمر كله لله، في هذا الحادث وفي سواه، وتقرير هذه الحقيقة الكلية، لتكون ميزان الموقف، وميزان كل موقف، فالنصر والهزيمة، وظهور الدول ودثورها، وقوتها وضعفها، شأنه شأن سائر ما يقع في هذا الكون من أحداث ومن أحوال، مرده كله إلى الله...
وجاء في صفوة البيان لمعاني القرآن ما نصه: احتربت الفرس والروم فيما بين أذرعات وبصرى من أرض الروم يومئذ، وهما أقرب أراضيها بالنسبة إلى مكة، وكان ذلك قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل بست. فظهر الفرس على الروم، فلما بلغ الخبر مكة شق على المؤمنين، لأن الفرس مجوس لا يدينون بكتاب، والروم أهل كتاب؛ وفرح المشركون وقالوا: أنتم والنصارى أهل كتاب، ونحن والفرس أميون، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم، ولنظهرن نحن عليكم، فنزلت الآية وفيها: أن الروم سيغلبون الفرس في بضع سنين. والبضع: ما بين الثلاث إلى التسع و(غلبهم) كونهم مغلوبين.

وجاء في المنتخب في تفسير القرآن الكريم ما نصه: غلبت فارس الروم في أقرب الأرض من العرب، وهي أطراف الشام، وهم بعد انهزامهم سيغلبون الفرس، قبل أن تمضي تسع سنوات.. وكان المشركون قد فرحوا بانتصار فارس، وقالوا للمسلمين: سنغلبكم كما غلبت فارس الروم التي هي من أهل الكتاب.. وقد حقق الله وعده فانتصر الروم على فارس في الأجل الذي سماه، فكان ذلك آية بينة على صدق محمد(صلى الله عليه وسلم) في دعواه وصحة ما جاء به....
وجاء في الهامش التعليق التالي: في هذه الآيات الشريفة إشارة إلى حدثين: كان أولهما قد وقع بالفعل، وأما الثاني فلم يكن قد وقع بعد، وهو إخبار عن الغيب،(وحدد لوقوعه بضع سنين فيما بين الثلاث والتسع).

وتفصيل الحدث الأول أن الفرس والبيزنطيين قد اشتبكوا في معركة في بلاد الشام على أيام خسرو أبرويز أو خسرو الثاني عاهل الفرس المعروف عند العرب بكسرى. وهيراكليوس الصغير الإمبراطور الروماني المعروف عند العرب بهرقل؛ ففي عام ٦١٤ م استولى الفرس على أنطاكية أكبر المدن في الأقاليم الشرقية للإمبراطورية الرومانية، ثم على دمشق، وحاصروا مدينة بيت المقدس إلى أن سقطت في أيديهم وأحرقوها ونهبوا السكان وأخذوا يذبحونهم....
وتفصيل الحدث الثاني أن هرقل قيصر الروم الذي مني جيشه بالهزيمة لم يفقد الأمل في النصر، ولهذا أخذ يعد نفسه لمعركة تمحو عار الهزيمة، حتى إذا كان عام٦٢٢ الميلادي(أي العام الهجري الأول) أرغم الفرس على خوض معركة على أرض أرمينيا وكان النصر حليف الروم، وهذا النصر كان فاتحة انتصارات الروم على الفرس... فتحققت بشرى القرآن....

وثمة حدث ثالث يفهم من سياق هذه الآيات الشريفة كان مبعث فرح المسلمين وهو انتصارهم على مشركي قريش في غزوة بدر التي وقعت في يوم الجمعة١٧ رمضان من العام الثاني الهجري(أي سنة ٦٢٤ م).
وجاء في صفوة التفاسير ما نصه:...(غلبت الروم في أدنى الأرض) أي هزم جيش الروم في أقرب أرضهم إلى فارس(وهم من بعد غلبهم سيغلبون) أي وهم من بعد انهزامهم وغلبة فارس لهم سيغلبون الفرس، وينتصرون عليهم(في بضع سنين) أي في فترة لا تتجاوز بضعة أعوام؛ والبضع ما بين الثلاث والتسع....

وأشار صاحب صفوة التفاسير(جزاه الله خيرا) إلى أقوال المفسرين السابقين وعلق على قوله(تعالى):[وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين] ما نصه: وقد التقي الجيشان في السنة السابعة من الحرب، وغلبت الروم فارس وهزمتهم، وفرح المسلمون بذلك؛ قال أبو السعود: وهذه الآيات من البينات الباهرة، الشاهدة بصحة النبوة، وكون القرآن من عند الله عز وجل حيث أخبر عن الغيب الذي لا يعلمه إلا الله العليم الخبير، ووقع كما أخبر، وقال البيضاوي: والآية من دلائل النبوة لأنها إخبار عن الغيب....
وأضاف صاحب صفوة التفاسير في شرح قول الحق(تبارك وتعالى):[ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله] ما نصه: وقد صادف ذلك اليوم يوم غزوة بدر؛ قال ابن عباس: كان يوم بدر هزيمة عبدة الأوثان، وعبدة النيران....

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويوم بدر وقع في السنة الثانية من الهجرة(الموافق سنة ٦٢٤ م)، وعلى ذلك فإن هزيمة الروم على أيدي الفرس لابد وأنها كانت قد وقعت في حدود سنة ٦١٤ م إلى ٦١٥ م.
وجاء في أطلس تاريخ الإسلام(على واضعه رحمة الله) ما نصه:... وعندما تولى هرقل عرش الروم سنة ٦١٠ م (وهي سنة البعثة المحمدية) كان الفرس قد اجتاحوا بلاد الشام ومصر وهزموا البيزنطيين سنة٦١٣ م عند أنطاكية، واستولوا على فلسطين والقدس سنة ٦١٤ م، وغزوا مصر ودخلوا الإسكندرية سنة٦١٨ م أو ٦١٩ م، وبعد أن أقام هرقل دولته بدأ قتال الفرس سنة٦٢٢ م، وفي سنة٦٢٧ م أنزل بهم هزيمة قاصمة قرب نينوى، واسترد منهم أراضي الدولة البيزنطية في أرمينيا والشام وفلسطين ومصر، وفي سنة ٦٣٠ م استعاد بيت المقدس.
ومن استقراء كل هذه التواريخ السابقة يتضح أن هزيمة الروم الحقيقية على أيدي جيوش الفرس كانت في حدود سنة ٦١٤ م إلى ٦١٥ م، وأن استعادتهم النصر على الفرس كانت في حدود سنة ٦٢٤ م، واستمر تقدم الروم على أرض الفرس حتى تم لهم استعادة بيت المقدس.
وواضح من شروح المفسرين أن المقصود بالتعبير القرآني في أدنى الأرض الذي يصف أرض المعركة التي تمت فيها هزيمة الروم أمام جحافل جيش الفرس هو أقرب الأرض إلى مكة المكرمة أو إلى الجزيرة العربية أو إلى أرض الفرس.. ولكن الدراسات الحديثة تؤكد أن منطقة حوض البحر الميت، بالإضافة إلى كونها أقرب الأراضي التي كان الروم يحتلونها إلى الجزيرة العربية هي أيضا أكثر أجزاء اليابسة انخفاضا، حيث يصل منسوب سطح الأرض فيها إلى حوالي الأربعمائة متر تحت متوسط مستوى سطح البحر، وان هذه المنطقة كانت من مناطق الصراع بين إمبراطوريتي الفرس والروم، وأن المعركة الحاسمة التي أظهرت جيوش الفرس على جيوش إمبراطورية روما الشرقية(الإمبراطورية البيزنطية) لابد أنها وقعت في حوض البحر الميت، وان الوصف بـ أدنى الأرض هنا كما يعني أقربها للجزيرة العربية، يعني أيضا أنها أكثر أجزاء اليابسة انخفاضا، وهذه الإشارة القرآنية العابرة تعتبر من السبق العلمي في كتاب الله، لأن أحدا لم يكن يعلم هذه الحقيقة في زمن الوحي بالقرآن الكريم، ولا لقرون متطاولة من بعده.

أدنى الأرض في العلوم الحديثة

ثبت علميا بقياسات عديدة أن أكثر أجزاء اليابسة انخفاضا هو غور البحر الميت، ويقع البحر الميت في أكثر أجزاء الغور انخفاضا، حيث يصل مستوى منسوب سطحه إلى حوالي أربعمائة متر تحت مستوى سطح البحر، ويصل منسوب قاعه في أعمق أجزائه إلى قرابة الثمانمائة متر تحت مستوى سطح البحر، وهو بحيرة داخلية بمعنى ان قاعها يعتبر في الحقيقة جزءا من اليابسة.
وغور البحر الميت هو جزء من خسف أرضي عظيم يمتد من منطقة البحيرات في شرقي إفريقيا إلى بحيرة طبريا، فالحدود الجنوبية لتركيا، مرورا بالبحر الأحمر، وخليج العقبة، ويرتبط بالخسف العميق في قاع كل من المحيط الهندي، وبحر العرب وخليج عدن، ويبلغ طول أغوار وادي عربة "البحر الميت " الأردن حوالي الستمائة كيلومتر، ممتدة من خليج العقبة في الجنوب إلى بحيرة طبريا في الشمال، ويتراوح عرضها بين العشرة والعشرين كيلومترا.
ويعتبر منسوب سطح الأرض فيها أكثر أجزاء اليابسة انخفاضا حيث يصل منسوب سطح الماء في البحر الميت إلى٤٠٢ مترا تحت المستوى المتوسط لمنسوب المياه في البحرين المجاورين: الأحمر والأبيض المتوسط، وهو أخفض منسوب أرضي علي سطح اليابسة كما يتضح من الأرقام التالية:
منسوب سطح الأرض في وادي عربة=٣٥٥ ـ ٤٠٠ م تحت مستوى سطح البحر.
منسوب أعمق نقاط قاع البحر الميت=٧٩٤ م تحت مستوى سطح البحر.
منسوب سطح الماء في البحر الميت=٤٠٢ تحت مستوى سطح البحر.
مستوى سطح الأرض في غور الأردن=٢١٢ ـ ٤٠٠ م تحت مستوى سطح البحر.
منسوب سطح الماء في بحيرة طبريا=٢٠٩ م تحت مستوى سطح البحر.
منسوب قاع بحيرة طبريا=٢٥٢ م تحت مستوى سطح البحر.
منسوب سطح الأرض في قاع منخفض القطارة في شمال صحراء مصر الغربية=١٣٣ م تحت مستوى سطح البحر.
منسوب سطح الأرض في قاع وادي الموت/ كاليفورنيا=٨٦ م تحت مستوى سطح البحر.
منسوب سطح الأرض في قاع منخفض الفيوم/مصر=٤٥ م تحت مستوى سطح البحر.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويتراوح عمق الماء في الحوض الجنوبي من البحر الميت بين الستة والعشرة أمتار، وهو بذلك في طريقه إلى الجفاف، ويعتقد انه كان جافا إلى عهد غير بعيد من تاريخه، وكان عامرا بالسكان، وأن منطقة الأغوار كلها من وادي عربة في الجنوب إلي بحيرة طبريا في الشمال كانت كذلك عامرة بالسكان منذ القدم حيث عرف البحر الميت في الكتابات التاريخية القديمة، ووصف بأسماء عديدة من مثل بحر سدوم بحيرة لوط بحيرة زغر، البحر النتن، بحر عربة، بحر الإسفلت والبحر الميت، وذلك لأن المنطقة اشتهرت بخصوبة تربتها، ووفرة مياهها فعمرتها القبائل العربية منذ القدم، واندفعت إليها من كل من العراق والجزيرة العربية وبلاد الشام ومنهم قوم لوط(عليه السلام) الذين عمروا خمس مدن في أرض الحوض الجنوبي من البحر الميت هي: سدوم، وعمورة، وأدمة، وصوبييم، وزغر، وقد ازدهرت فيها الحياة إلى أواخر القرن العشرين قبل الميلاد ودمرت بالكامل في عقاب إلهي أنزل بها وجاء خبر عقابها في القرآن الكريم بقول الحق(تبارك وتعالى):

فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود (هود:٨٢)

والأرض في حوض البحر الميت " بصفة عامة " وفي الجزء الجنوبي منه بصفة خاصة والتي تعرف باسم الأرض المقلوبة تتميز بالحرارة الشديدة، وبتفجر كل من العيون المائية، والأبخرة الكبريتية الحارة فيها، وبتناثر كتل الإسفلت التي كثيرا ما كانت تطفو على سطح مياه البحر الميت إلى عهد غير بعيد.

وقرى قوم لوط التي كانت تشغل أرض الحوض الجنوبي من البحر الميت، والتي دمرت بالكامل بأمر من ربنا (تبارك وتعالى) لا علاقة لها بالحركات الأرضية التي شكلت تلك الأغوار من قبل حوالي٢٥ مليون سنة مضت، ولكن بعد تدميرها بالعقاب الإلهي دخلت المنطقة برحمة من الله(تعالى) في دورة مطيرة غسلت مياهها ذنوب الآثمين من قوم لوط، وغمرت منطقة قراهم لتحولها إلى الحوض الجنوبي من البحر الميت، والذي يتجه اليوم إلى الجفاف مرة أخرى ليصير أرضا يابسة.

وخلاصة القول إن منطقة أغوار وادي عربة ـ البحر الميت ـ الأردن تحوي اخفض أجزاء اليابسة على الإطلاق، والمنطقة كانت محتلة من قبل الروم البيزنطيين في عصر البعثة النبوية الخاتمة، وكانت هذه الإمبراطورية الرومانية يقابلها ويحدها من الشرق الإمبراطورية الفارسية الساسانية، وكان الصراع بين هاتين الإمبراطوريتين الكبيرتين في هذا الزمن على أشده، ولابد أن كثيرا من معاركهما الحاسمة قد وقعت في أرض الأغوار، وهي أخفض أجزاء اليابسة على الإطلاق، ووصف القرآن الكريم لأرض تلك المعركة الفاصلة التي تغلب فيها الفرس على الروم ـ في أول الأمر بـ أدنى الأرض ـ وصف معجز للغاية لأن أحدا من الناس لم يكن يدرك تلك الحقيقة في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده، وورودها بهذا الوضوح في مطلع سورة الروم يضيف بعدا آخر إلى الإعجاز التنبؤي في الآيات الأربع التي استهلت بها تلك السورة المباركة ألا وهو الإعجاز العلمي فبالإضافة إلى ما جاء بتلك الآيات من إعجاز تنبؤي شمل الأخبار بالغيب، وحدد لوقوعه بضع سنين، فوقع كما وصفته وكما حددت له زمنه تلك الآيات فكانت من دلائل النبوة، فان وصف ارض المعركة بالتعبير القرآني أدنى الأرض يضيف إعجازا علميا جديدا، يؤكد أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق وأن النبي الخاتم الذي تلقاه كان موصولا بالوحي، ومعلما من قبل خالق السماوات والأرض.

وكما كانت هذه الايات الكريمة من دلائل النبوة في زمن الوحي لإخبارها بالغيب فيتحقق، فهي لا تزال من دلائل النبوة في زماننا بالتأكيد على أن المعركة الفاصلة قد تمت في اخفض أجزاء اليابسة على الإطلاق، وهي أغوار البحر الميت وما حولها من أغوار ويأتي العلم التجريبي ليؤكد تلك الحقيقة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

وعلى كتاب التاريخ الذين تأرجحوا في وضع المعركة الفاصلة في هزيمة الروم على أرض القسطنطينية، أو على الأرض بين مدينتي أذرعات وبصرى من أرض الشام، أو على أرض أنطاكية، أو على أرض دمشق، أو أرض بيت المقدس، أو أرض مصر(الإسكندرية) أن يعيدوا النظر في استنتاجاتهم، لأن القرآن الكريم يقرر أن هزيمة الروم على أيدي الفرس كانت على الأرض الواقعة بين شرقي الأردن وفلسطين وهي أغوار وادي عربة ـ البحرالميت ـ الأردن التي أثبت العلم أنها أكثر أجزاء اليابسة انخفاضا، والتي ينطبق عليها الوصف القرآني بأدنى الأرض انطباقا تاما ودقيقا.

وعلى الذين قالوا أن معنى أدنى الأرض هو أقرب الأرض من بلاد فارس، أو من بلاد العرب، أو هي أطراف بلاد الشام، أو بلاد الشام، أو إنطاكية، أو دمشق، أو بيت المقدس أو غيرها أن يعيدوا النظر في ذلك، لأن حدود الإمبراطوريتين كانت متلاحمة مع بعضهما بعضا من جهة ومع بلاد العرب من جهة أخرى، وعليه فلا يعقل أن يكون المقصود بتعبير أدنى الأرض في هذه الآيات الكريمة هو القرب من بلاد فارس أو بلاد العرب، فقط، وان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كانت ارض الأغوار هي اقرب الأرض إلى بلاد العرب، بل هي في الحقيقة جزء من ارض شبه الجزيرة العربية. فسبحان الذي انزل هذا التعبير المعجز أدنى الأرض ليحدد أرض المعركة ثم ليثبت العلم التجريبي بعد أكثر من اثني عشر قرنا أن الأغوار الفاصلة بين أرض فلسطين المباركة والأردن هي أكثر أجزاء اليابسة انخفاضا ومن هنا كانت جديرة بالوصف القرآني أدنى الأرض، وجديرة بأن تكون أرض المعركة التي هزم فيها الروم، وذلك لقول الحق(عز من قائل):

ألم* غلبت الروم* في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون* في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون* بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم.(الروم:١ -٥).

أخفض منطقة في العالم

آية نزلت كانت سببا في إسلام بعض المشركين في شأن الروم والفرس . حدثت معركة بين الروم والفرس فانتصر الفرس على الروم وكان الفرس عباد النار والروم أهل كتاب ففرح المشركون لأنهم أهل أوثان بانتصار أهل الأوثان على أهل الكتاب من النصارى وحزن المسلمون ..

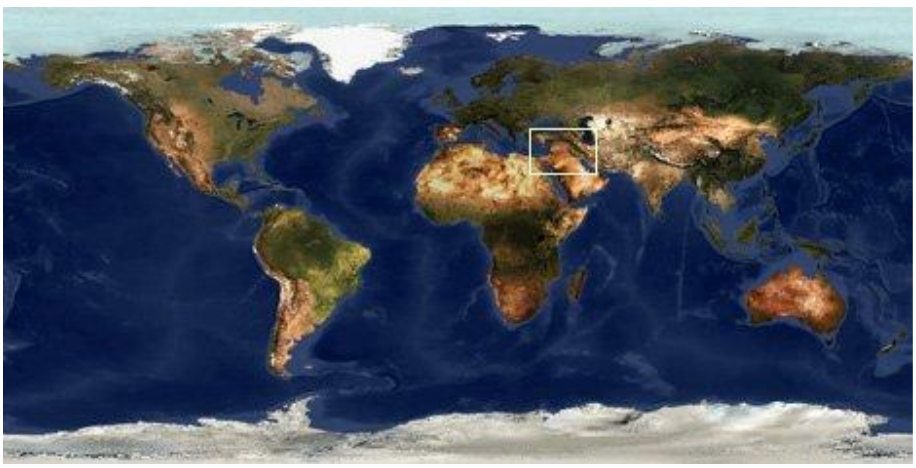

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فأنزل الله قرآنا يواسى به المؤمنين ويرد فرحة الكافرين قال تعالى :) الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ) الروم - ١-٤ أي في أقل من عشر سنوات . فلما جاء هذا الخبر : قال تعالى : (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)الروم ٤- ٥ نعم يعلمون ظاهرا كما يعلم كروستوفر حكمة لبس الحذاء لكنه لا يدري الحكمة من خلقه هو ؟ فلما نزلت هذه الآيات : (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّه) ثم يعقب بعد ذلك (وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَه) تحدي .. يعني الروم هذه التي انهزمت ستنتصر في أقل من عشر سنين (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُون) هذه واحدة وثانية سيأتي هذا النصر وسيفرح المؤمنون وبعده .. (وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَه) ما كان سيكون (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) يعني يستثير في الكفار كل حمية ، كل مقاومة .. فجاء واحد من الكفار لما سمع هذا .. إلى أبي بكر وقال انظر ما يقول محمد ... قال : ما يقول ؟ قال : يقول : إن الروم تهزم الفرس قال : صدق .. يا أبا بكر ! - بلغ الغيب في أشده .. ثم كسب أبو بكر في النهاية فما مرت سبع سنوات حتى تحقق وعد الله - جل وعلا - وانتصر الروم على الفرس وفرح المسلمون وكان ذلك في عام الحديبية ... (الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ) كانت معجزة للأولين في هذا الأمر الغيبي الذي رأوه بعد سبع سنين من إخبار القرآن به . فقال بعض الكفار الذين أسلموا : محمد عاقل وما هو مجنون ، لقد جعل دينه كله ومستقبله كله والإسلام كله مرهون بانتصار دولة مهزومة إنه حدد زمنا قريبا يكون في حياته فلو أنه مرت عشر سنوات ولم تنتصر الروم راح الإسلام وراح القرآن وراح محمد !! لكن يراهن محمد هذا الرهان لكن يحدد محمد والذي راهن أبوبكر الصديق رضي الله عنه محمد اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله يقول ، ويرمي بثقله كله ، ويحدد هذا التحديد ويجزم هذا الجزم ولا تمر سبع سنوات إلا وقد تحقق لا يمكن أن يكون هذا من عند بشر ! هذا صنع الذي يحكم البشر فأسلموا ودخلوا في الإسلام ! قال الزنداني التقيت مع واحد من أساتذة علوم الجيولوجيا في أمريكا اسمه البروفيسور - بالما - وهو من كبار علماء الجيولوجيا في أمريكا جاء في زيارة وجاء ومعه نموذج للكرة الأرضية بها تفاصيل الارتفاعات والانخفاضات وأعماق البحار وكم طول الارتفاع وكم عمقه كله مبين في التضاريس بالمتر محسوب ... فلما جلس قلت له : عندنا عبارة في القرآن .. آية في القرآن تقول بأن منطقة بيت المقدس حيث دارت المعركة هي أخفض منطقة في العالم .. في آدنى الأرض .. لأن لفظ أدنى لفظ مشتق يأتي بمعنى أقرب أقول : أدنى إلى من الأخ .. أدنى بمعنى أقرب فأدنى تأتي بمعنيين بمعنى الأقرب ومعنى الأخفض . فقلت له : الله قال في (أَدْنَى الْأَرْضِ) المفسرون السابقون أخذوا المعنى الأول من أدنى : أقرب فقالوا منطقة إلى بلاد العرب منظقة الأغوار في البحر الميت فهي أدنى الأرض بالنسبة لجزيرة العرب ، فقالوا : أقرب لكن الآية تشتمل على المعنى الثاني بمعنى الأخفض . وقلت له : هي أخفض وأناأعلم بأنها أخفض .. لكن أريده هو أن يقول فقال ذلك . لكن لما عرف أنها من القرآن قال : ليست أخفض الأرض . قال : فيه منخفضات موجودة في هولندا ، وتحت مستوى البحر ومنخفضات كذا وأخذ يتذكر أخفض المناطق في العالم . قلت له : أنا متأكد مما أقول .. استغرب الرجل وأنا أقول : أنا متأكد مما أقول .. هذه الكرة الأرضية التي فيها الارتفاعات والانخفاضات أدارها بسرعة فلما أدارها على منطقة بيت المقدس والمنطقة حولها وجد سهما طويلا خارجا من المنطقة ومتكوب بخط واضح أخفض منطقة في العالم ! فلما رآها قال : صحيح ! صحيح ! الأمر كما قلت .. إنها أخفض منطقة في الأرض .. هذا القرآن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكريم نزل بعلم الذي أحاط بكل شيء - سبحانه وتعالى
المصدر " وعذا عصر الإيمان " للشيخ عبد المجيد الزنداني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com